٣٢

البعد الاجتماعي للإيمان في سورة الحجرات

احمد خلف جابر الحمود

وليد رحمن عبود

الاستاذ الدكتور حبيب الله حليمي جلودار

جامعة مازندران

كلية الإلهيات والدراسات الإسلامية

قسم علوم القرآن والحديث

الملخص

إن الاهتمام بالايمان من منظور القرآن الكريم يمكن أن يلعب دورًا مهمًا في التربية الدينية للناس، وبالتالي في نمط و أسلوب حياتهم.سورة الحجرات هي إحدى سور القرآن التي تصف الإيمان وتظهره في أبهى صوره، الإيمان الذي يقود المؤمن إلى تنظيم صفحات حياته وكتابتها بما يرضي الله عنه.يهدف هذا البحث إلى دراسة الابعاد الفردية والاجتماعية والسياسية لسورة الحجرات و إلى إفراد الصفات الإيمانية التي تعلي شأن الفرد و تزيد من مساهمته في بناء المجتمع الإسلامي السليم الذي يشكل الأرضية القوية و الصلبة التي ترتكز عليها الدولة و تحقق به غاياتها و سياساتها . وبناء على نتائج هذا البحث يمكن القول بأن سورة الحجرات هي إحدى السور القرآنية التي عرضت فيها الجوانب الفردية والاجتماعية والسياسية للإيمان بأفضل طريقة ممكنة للايصال الى الفوز فى الدنيا و الاخرة.

المقدمة

تتطلب الحياة الإسلامية الصحيحة والقائمة على أركان الإيمان الحقيقي من كل مسلم معترف بالرسالة المحمدية أن يلتزم بالآداب الإسلامية والأخلاق الرفيعة التي دعا إليها القرآن الكريم وأكدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك أئمة أهل الهدى ومصابيح الدجى من آل بيته عليهم السلام.

يمثل هذا المسلم المؤمن بذرة قائمة للمجتمع الإسلامي الذي يعتمد على القيم والأخلاق الإسلامية ويتبع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة أهل بيته عليهم السلام بعده. وفي المجتمع الإسلامي المعاصر نواجه تحديات كبيرة ومخاطر متعددة تهدد استقراره وإيمانه. ومن بين هذه المخاطر انتشار العادات الفاسدة والمبادئ غير السليمة.

اليوم نجد أن هناك حاجة ملحة لمواجهة تلك الخصال التي حذر منها القرآن الكريم منذ نزلت الرسالة على النبي الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و هذه المواجهة تستلزم منا الاتجاه بشكل فعلي للتمعن في معاني القرآن الكريم و إشارات آياته و دلالاتها الجوهرية نجو بناء الفرد و تعزيز حالته الإيمانية.

و الإيمان الذي ينحدر من كل سور القرآن الكريم عامة و من سورة الحجرات خاصة و هي محور البحث الحالي هذا الإيمان له آثاره و دلالاته و ستقدم هذه الدراسة رؤية متكاملة حول الأخلاق و الخصال الإيمانية التي تستوجب من كل فرد مسلم اتباعها.

بناء المجتمع في سورة الحجرات

سورة الحجرات تحتوي على مجموعة من المسائل التشريعية والدينية التي تسهم في بناء حياة مستقرة ورغيدة للفرد والمجتمع في النظام الإسلامي. تشمل هذه المسائل آداب التعامل مع الله والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

تتعامل السورة أيضًا مع قضية تفاضل الأفراد حيث تسعى إلى توجيه الناس نحو الحق وتمييزه عن الباطل. تختتم السورة بالإشارة إلى أهمية الإيمان والإسلام وتعبير الامتنان لله تعالى على نعمة الإيمان ونوره.

المجتمع الذي تطمح سورة الحجرات إلى بنائه يُميزه مجموعة من الخصائص والقيم الأساسية وهذه الخصائص تشمل:

١. الرفاهية والسلام المجتمع يهدف إلى تحقيق الرفاهية والسلام لأفراده ويسعى لضمان حياة مريحة ومستقرة للجميع.
٢. التقوى والنقاء المجتمع يتميز بالتقوى والنقاء حيث يتجنب السلوكيات السلبية ويحرص على النقاء في القلوب والأعمال.
٣. الأدب والأخلاق المجتمع يتحلى بالأدب العالي مع الله ورسوله ومع نفسه ومع الآخرين. يحترم الحدود ويمارس الأخلاق في جميع جوانب الحياة.
٤. الامتثال للشرائع المجتمع يلتزم بالشرائع الإسلامية ويسعى للامتثال لأحكام الله في جميع جوانب حياته.
٥. الإصلاح والعدالة المجتمع يسعى إلى تحقيق العدالة والإصلاح في التعامل مع الخلافات والمشكلات الاجتماعية.
٦. الإجراءات العملية يتميز المجتمع بوجود إجراءات ونظم عملية لمعالجة التحديات والأزمات والمشكلات وهو يسعى للحفاظ على النظام والاستقرار. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.[١]

مجتمع متسامي في نظافة مشاعره ملتزم بحفظ الحرمات ومكفول عدم انتهاك خصوصيات الأفراد حيث لا يُستهدف أحد بالشكوك وتفتيش الخصوصيات. يحترم حقوق الناس في الأمان والكرامة والحرية دون أدنى تعدي. مجتمع يفهم تمامًا فكرة وحدة الإنسانية عبر مختلف الجنسيات والثقافات حيث يعتمد على ميزان واحد يعترف به الجميع. هذا الميزان هو ميزان الله الذي يخلو من تحيزات الهوى والتمييزات. يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

وبناءً على هذه الحقائق التي تمثل معالم المجتمع الرفيع والكريم والنظيف والسليم تُحدِّد السورة معالم الإيمان الذي يدعو به المؤمنون لبناء هذا المجتمع الجميل. السورة تهتف بالدعوة إلى الإيمان الذي يجلبهم إلى هذه التزامات برغم ما فيها من تحديات وذلك من خلال النداء المحب والمحبب للمؤمنين.قالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم،[٢] أما في ختامها فتكشف السورة عن ضخامة الهبة الإلهية للبشر. هبة الإيمان التي يمنّ بها على من يشاء وفق ما يعلمه فيه من استحقاق يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.[٣]

البناء الأخلاقي للمجتمع في سورة الحجرات

إن سورة الحجرات تمثل إعجازا قرآنيا حيث تشتمل على العديد من القوانين والمبادئ وبآياتها القليلة توجه المجتمع الإسلامي أخلاقيا وتجعل منه بناء متماسكا له من الأسس الحقوقية و التربوية و الأخلاقية ما ينهض به و يجعله في طليعة المجتمعات الإنسانية.

سورة الحجرات تهدف إلى إنشاء إطار من القيم والمعتقدات الإسلامية وإلى تطوير علاقات إنسانية يحكمها الأخلاق والآداب العامة والخاصة مما يؤدي إلى بناء مجتمع إسلامي نموذجي وصيانته من التطرّف والتفكك. يتم ذلك من خلال تنفيذ التوجيهات والقوانين التي وردت في السورة والسعي لصياغة مجتمع يكون مثالًا يحتذى به. هذا المجتمع يستند إلى التربية الأخلاقية المستمدة من سورة الحجرات ويسعى لمتابعة سُنّة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته كنموذج قائم على تعاليم القرآن الكريم.[٤]

ومن خلال الاستعراض الدقيق والتحليل المنهجي لمضمون السورة وملاحظة القضايا والقوانين المختلفة التي تعرّضت لها سندرك أنّها تدور حول محور رئيس و هو التربية الأخلاقية للمجتمع الإسلامي والتي نلخصها بالآتي:

١. أدب التعامل مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم
٢. آداب و ضوابط تلقي الأنباء و الأخبار
٣. حرمة الغيبة و التجسس و الاستهزاء
٤. بيان خطورة التنازع بين أفراد المجتمع الإسلامي
٥. كيفية الإصلاح بين المؤمنين

اشتملت آيات سورة الحجرات على مجموعة من القواعد و الآداب الأخلاقية التي تربي المجتمع الإسلامي و كان نهج السورة واضحا في رسم تلك المعالم الأخلاقية النيرة التي اعتمدت على أساليب التوجيه التربوية التي تلائم طبيعة الإنسان و تتفق معه بحيث تواكب تغيراته و تجعل منه الإنسان الصالح لبيئته و مجتمعه و من تلك الوسائل:

١. أسلوب الترغيب و الترهيب إن آيات سورة الحجرات ضمت آدابا و ضوابط تحمل إشارات الترغيب و الترهيب لتحقق تشكيل منظومة أخلاقية تتسم بالدوافع و الموانع التي تجعل المجتمع الإسلامي منطلقا نحو السلوك و العادات المرغوب فيها و تمنعه عن السلوك السيء الغير سليم.

فعلى سبيل المثال نجد أسلوب الترهيب في قوله تعالى أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون،[٥] حيث يحذر الله سبحانه و تعالى من عواقب الافتئات،[٦] على الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة. فقال رجل من قريش يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقونها.[٧]

و هنا يشير القرآن إلى سبب من أسباب حبط الأعمال و هو إساءة التعامل مع النبي و تلك الإساءة تقترن بالكفر و الشرك.

و بالمقابل يرغب الله سبحانه في آياته الملتزمين من المؤمنين بالآداب الصحيحة للوقوف بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قوله تعالى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ.[٨]

في هذه الآية وعد الله تعالى المؤمنين بجزاء جميل نتيجة لتقواهم وخشيتهم لله في قلوبهم. والمكافأة المذكورة هي العاقبة الحسنة والمباركة التي تنتظر الذين يعملون بالتقوى والخشية من الله.[٩]

٢. تبيان العواقب من عدم الالتزام بالآداب الإسلامية جاءت آيات سورة الحجرات بجملة من التحذيرات و التنبيهات التي توضح المخاطر المترتبة على ترك الأخلاق القرآنية الواضحة و المبينة في سورة الحجرات ففي مسألة التحقق من الانباء جاء التنبيه من عاقبة الندم على إتيان فعل من غير علم و دراية و تبين قوله تعالى فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ.[١٠]

في هذا الحديث الذي رواه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن عبد الله بن بكير تسأل السائل الإمام عليه السلام عن سبب عفو رسول الله صلى الله عليه وآله عن القبطية التي ادعت عليه وكذبت عليه. في إجابته يشير الإمام إلى أن رسول الله صلى

الله عليه وآله علم بأنها كذبت عليه ولو كان عزمه الكامل لما عفا عنها ولكنه عفا عنها في الأمل أن تتوب وترجع عن زلتها. ومع ذلك لم تتوب ولم تعترف بخطئها فقتل رجل مسلم بسبب كذبها.[١١]

و في مسائل النهي عن التصرفات الاجتماعية القبيحة كالسخرية و التنابز و اللمز جاءت الآيات لتوضح و تحذر من مغبة الظلم في المجتمع نتيجة استهزاء الناس بغيرهم قوله تعالى وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.[١٢]

تنمية الوازع النفسي للالتزام بهذه الأخلاق

إنّ أحداً لا يستطيع أن يفرض التزام مبدأ من المبادئ أو خلقاً من الأخلاق بقوةٍ خارجية أو سلطة قانون فها هي الدول اليوم تعيش تحت سلطة قوانين وضعية ونظم قضائية وشرطة وقوات عسكرية لكنّها لم تستطع أبداً أن تُحقّق أيّ التزامٍ حقيقي بالأخلاق إن صحّ أن يُسمّى ما عندهم أخلاقاً ولهذا كان لا بدّ من حلّ هذه الإشكالية في منظومة الأخلاق الإسلامية وليس أقدر على ذلك من قوله تعالى في ختام هذه السورة إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ،[١٣] إذ أنّ استشعار هذه الرقابة الدائمة من الله عزّ وجلّ كفيلٌ بتنمية الوازع النفسي في كلّ فردٍ بما يُحقّق التزامه بهذه الأخلاق والآداب ولو كان في خلوة من الناس أو معزل عن بطش السلطان وقهر السلطة والقانون وبهذا فقط تنضبط منظومة الأخلاق في المجتمع.

وفي تفسير النور لهذه الآية يورد السيد محسن قراءتي ما يلي: توجد أسرار خفية في آفاق السماء وأقطار الأرض لا يعلم الإنسان منها شيئاً و لو أن الإنسان يلتفت بشكل دائم الى علم الله وبصيرته النافذة لدقق في كل حركة وسكون وفي كل قول وفعل يصدر عنه.[١٤]

المساواة أساس المجتمع السليم

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.[١٥]

تشير الآية الثالثة عشرة الى اصول ثلاثة هي المساواة في الخلق بين الرجل والمرأة وتفاضل الناس فيما بينهم وتأسيس هذا التفاضل على قاعدة التقوى.

في هذا الحديث الذي نقله سلمان الفارسي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي كان عبارة عن لقاء بين سلمان والنبي صلى الله عليه وآله وهو في مرضه الذي وافته المنية فيه يتحدث الرسول عن تقسيم البشر إلى قسمين. القسم الأول هو الأصحاب الذين هم في خيرهم والقسم الثاني هم القبائل والشعوب. ثم يشير إلى أنه وعليه عليه السلام ينتميان إلى القسم الأول أي الأصحاب ويقول الله جل وعلا في

القرآن أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين. ومن ثم يؤكد على أهمية التعارف بين الناس من مختلف القبائل والشعوب ويقول إن أكرمكم عند الله أتقاكم مشيرًا إلى أن الفضيلة والتميز بين البشر يعتمد على التقوى والأخلاق الحميدة وليس على العرق أو القبيلة.[١٦]

البناء الإيماني للمجتمع في سورة الحجرات

إن الإيمان بالله و رسوله و التمثل بأخلاق آل بيت الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم يشكل محور سورة الحجرات و تقدم هذه السورة المباركة وصفا و تفريقا لمعاني الإيمان الشاملة و تعطي دروسا حقيقية لصورة الإيمان و طبيعته و دوره في بناء المجتمع الإسلامي الصحيح.

و من هذه الصور الإيمانية التي تقدم دعائم الإيمان و تبني صرحه العزيز في المجتمع:

١. التذكير بنعمة الله وفضله وهذا التذكير بالفضل مدعاة الالتزام بالهدى الإلهي والوقوف عند توجيهاته تأمّل على سبيل المثال قوله تعالى وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ،[١٧] فجعل العصيان والفسوق والكفر في مقابل نعمة الإيمان بحيث يُرغّب من استقر الإيمان في قلبه عن أن يجمع إليه من النقائض ما يكون كفراً بنعمة الله عزّ وجلّ.

و في هذا يروى عن الإمام الصادق عليه السلام عن الحسن بن زياد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله حبب إليكم الإيمان و زينه في قلوبكم هل للعباد بما حبب صنع قال لا و لا كرامة.[١٨]

و في رواية أخرى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال هل الدين إلا الحب ألا ترى إلى قوله قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم أو لا ترى قول الله لمحمد صلى الله عليه و آله حبب إليكم الإيمان و زينه في قلوبكم و قال يحبون من هاجر إليهم فقال الدين هو الحب و الحب هو الدين.[١٩]

٢. تكرار النداء الإلهي للمؤمنين: يكرر الله سبحانه و تعالى نداؤه إلى المؤمنين في سورة الحجرات بقوله يا أيها الذين آمنوا و قد تكرر هذا الخطاب خمس مرات في سورة الحجرات و لذلك دلالات و إشارات على أن هذا النداء الإلهي يعتبر قانون و دستور إلهي مستقل على المجتمع مراعاته و صيانته من التحريف و إن عدم الالتزام بهذه المبادئ الإلهية من شأنه أن يهدم بناء الإيمان في المجتمع الإسلامي.

النداء الأول قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.[٢٠]

و في هذا النداء الإلهي توضع أول أساسات البناء الإيماني للمجتمع الإسلامي المخلص لله تعالى و رسوله الكريم صلى الله عليه و آله و سلم و يقدم هذا النداء أبهى صورة للإيمان التي تتمثل بطاعة الله و رسوله و إخلاص الطاعة لهما و عدم الخروج عن هذا العهد الإلهي المقدس.

و عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم في فضل هذه الآية و دورها في بناء المسلم القوي المنصور بربه وبرسوله يقول أكرم البشر من كتبها و علقها عليه في قتال أو خصومة نصره الله تعالى و فتح له باب كل خير.[٢١]

النداء الثاني قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.[٢٢]

في هذا النداء يُظهر الخالق جل وعلا ضرورة التأدب والإخلاص في معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. إذ يُشدد على أهمية مخاطبته بمخاطبة إيمانية تعبّر عن التقوى والإخلاص لله سبحانه لأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو النور الإلهي المرسل من الله إلى عباده. وبالتالي التعامل الإسلامي الصحيح مع النبي صلى الله عليه وآله وعدم رفع الصوت في حضرته يعتبران من جواهر الإيمان ومن دعائم بناء مجتمع إسلامي يحترم قدسية النبوة.

في هذا السياق يتم استشهاد بآية قرآنية تدعو إلى عدم رفع الأصوات فوق صوت النبي وعدم الجهر بالقول له بصوت عالٍ حيث أن ذلك قد يبطل أعمال المؤمنين دون أن يشعروا به. كما يُظهر الحديث عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام كيفية تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمين في المدينة وكان يُعطف عليهم ويسعى لإزالة الآثام عنهم حتى أنه كان يراقب الأشخاص الذين يخاطبونه ليضمن ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوته وهذا ليحفظهم من تحقيق عقوبة الله المذكورة في الآية.[٢٣]

النداء الثالث قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ.[٢٤]

لعل أهم العوامل التي تبني المجتمع على أسس سليمة هو التريث و التثبت من الأنباء و الاخبار المنقولة لما لذلك من أثر في عدم نشر الضغينة و الحقد بين أفراد المجتمع الإسلامي و في هذا النداء الإلهي تحذير إلهي للمؤمن خاصة و للمجتمع الإسلامي عامة بضرورة تتبع الحقائق و تجريدها و عدم الوقوع في المعاصي التي توجب الندامة.

في هذا السياق يتم توضيح معاني مصطلحات مثل الرفث والفسق والجدال وفقًا للتفسير الإسلامي والأقوال الشرعية. يُشير الفسق هنا إلى الكذب على الله ورسوله وعلى أمة

الإسلام. ويُقدم حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث يُبين تفسير هذه المصطلحات. يُظهر الحديث أن الفسق يعني الكذب وهذا يأتي استنادًا إلى قول الله تعالى في القرآن الكريم الذي يحث المؤمنين على التحقق من الأخبار التي تأتيهم من مصادر غير موثوقة. يُستنتج أن الكذب على الله ورسوله وتشويه سمعة الإسلام يُعتبران أمورًا جدية ومحرمة في الإسلام.[٢٥]

النداء الرابع قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.[٢٦]

في هذا النداء الإلهي يُظهر أهمية التحلي بالأخلاق الإيمانية والقيم الإسلامية التي تشجع على التعاضد والمساواة بين المسلمين. ويُشجع أيضًا على عدم السخرية من الآخرين وضرورة الالتزام بالنهج الإيماني الذي أُسسه الله ورسوله الكريم في سورة الحجرات. هذا النهج يُسهم في بناء المجتمع الإسلامي على أسس قوية من الأخلاق السليمة ويساهم في رفع من مكانة وكرامة المؤمنين.

ويُشير الحديث الشريف إلى وجوب احترام المؤمن لأخيه المؤمن وعدم تتبع عثراته وزلاته حيث يجب على المؤمن أن يحترم إخوته في الإيمان ويتجاوز عن زلاتهم وعثراتهم وعدم التنقيض منهم أو تعييبهم في دينهم.[٢٧]

النداء الخامس قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ.[٢٨]

إن الله سبحانه و تعالى في كتابه العزيز حريص على تنقية النفس الإيمانية و تطهيرها و تعليمها أسس التعامل و أسس الإيمان الإلهي البحت الذي يقوي الإيمان و يرفع من شأن المؤمن في الدنيا و الآخرة و في النداء الخامس من سورة الحجرات تحذير إلهي من الظن الخاطئ بالمؤمن لما في ذلك من ارتكاب للآثام و دعوة لاجتناب التجسس و الغيبة و يقدم الله سبحانه و تعالى صورة بلاغية رائعة حيث يشبه غيبة المؤمن لأخيه المؤمن بأكل لحمه ميتا و هذا يورث كره المؤمنين له.

و في نهاية النداء تذكير إلهي بالتقوى و بفضل الله على المؤمنين بأنه هو الذي يتوب عليهم و يرحمهم في حال اتقائهم و اتباعهم تعاليم القرآن الكريم.

و قد جاءت تعاليم أهل بيت النبوة الكرام عليهم السلام واضحة بضرورة حسن الظن و ترك كل المعاصي التي يورثها الظن السيء حيث يقول الإمام الأكبر علي بن أبي طالب عليه السلام اطرحوا سوء الظن بينكم فإن الله عز و جل نهى عن ذلك.[٢٩]

و عنه أيضا عليه السلام إياكم و غيبة المسلم فإن المسلم لا يغتاب أخاه و قد نهى الله عز و جل عن ذلك فقال الله تعالى و لا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا.[٣٠]

٣. الإيمان وصفات المؤمنين: وضعت آيات سورة الحجرات الأسس و الدعائم التي تصف المؤمنين و تحدد طبيعتهم الإيمانية قوله تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.[٣١]

تضع هاتين الآيتين دروسا قيمة في حقيقة الإيمان وصفات المؤمنين عبر ما يلي:

١. يجمع القرآن بين ذكر معيار التفاضل والتكامل وبين الإشارة الى النموذج الأكمل في ميدان التفاضل الاجتماعي

٢. من علامات صدق الإيمان وثباته عدم الريب وانتفاء الشك.

٣. الإيمان أمر باطني يكشف عنه العمل والسلوك الخارجي

٤. لا داع للتظاهر والادعاءات عندما تكون بين يدي الله تعالى فالله عالم بالسرائر لا يخفى عليه شيء.

٥. يعلم الله سبحانه وجود الأشياء والأشخاص وخصائصهم وصفاتهم التي يتصفون بها.

٦. وحدة الأصل الإنساني.

تبين سورة الحجرات أن الأصل الإنساني واحد فتحتوي السورة على نداء إلهي يا أيها الناس مما يؤكد أن الله سبحانه و تعالى خص الإنسان بالتكريم و التفضيل على جميع خلقه و ترسخ آيات الحجرات مبادئ المساواة بين جميع البشر فلا أفضلية لجنس أو عرق على آخر.

وفي هذه السورة المباركة يُبين تفرع الأصل الإنساني إلى الأمم والشعوب والقبائل ويُؤكد أن هذا التنوع يعزز من التواصل والتفاهم والتعارف بين جميع البشر فقال الجليل يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.[٣٢]

ودين الإسلام هو دين المحبة والتآلف والاجتماع وقد أتى القرآن الكريم بآياته المنيرة ليدعو المسلمين إلى إفشاء المحبة بين الناس وإيجاد سبل التعاون فيما بينهم والتعارف على الآخر وقبوله واعتبار معيار التقوى بأنه المعيار الأسلم للحياة السليمة.

فقد بيّن الرسول صلى الله عليه و آله وسلم أنّ الفضل لمن خالط الآخرين وتعرَّف عليهم ولم يتقوقع على نفسه وذلك في قوله المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.[٣٣]

آثار الإيمان على المجتمع

قدمت سورة الحجرات بآياتها القليلة مجموعة من القوانين الإلهية الساطعة و التي تنير ظلام المجتمع و ترفع من شأنه و تزيد من الدرجات الرفيعة التي يصبو إليها المؤمن الحقيقي في حياته الدنيوية و الدينية.

و إذا تمعنا في هذه القوانين و الشرائع الإلهية فإننا سنجد أن مراعاتها تحكم بناء سور إيماني يحصن المجتمع و يعزز وحدته و يزيد من تماسكه و يمنع محاولات تفكيكه و لا سيما في الوقت الراهن و هو الوقت الذي تتعرض فيه المجتمعات الإسلامية لأشد أنواع الهجمات التضليلية.

و سنحاول في هذا المبحث أن نسلط الضوء على الفوائد الجمة التي قدمتها سورة الحجرات من خلال طرحها للمفهوم الإيماني الخالص.

فوائد الإيمان الاجتماعية في سورة الحجرات

إن الإيمان الحقيقي الذي تسلطت عليه سورة الحجرات بآياتها يشكل الدائرة المعرفية التي يجب على كل مسلم دخولها واستمداد الفوائد من ينابيعها النقية. تُقدم هذه الدائرة الإيمانية مجموعة من الدروس المفيدة للمجتمع مما يجعله مجتمعًا إسلاميًا صالحًا ومؤمنًا بجوهر الحقيقة المشرقة والذي ينبعث من بنية إيمانية صافية تحدد علاقة المؤمن مع ربه وخالقه ومع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

الفائدة الأولى إن أساس العلاقة مع الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو الطاعة الكاملة والخضوع التام والانقياد للأوامر الإلهية التي نقلها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وفي هذا السياق قامت سورة الحجرات بتسليط الضوء على عدم جواز التجاوز على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.[٣٤]

و هذه الآية المباركة هي خطاب إلهي للمؤمنين المعترفين بالتوحيد و المخلصين لله سبحانه و تعالى العبادة و المقرين بنبوة النبي محمد صلى الله عليه و آله و سلم و فيها نهي عن التقدم على الله و رسوله الكريم عبر الالتزام بالأوامر الإلهية و الاحكام الشرعية الصادرة عن الله سبحانه و تعالى.

وردت في كتب التفسير تفسيرات حول هذه الآية التي تحظر التقدم على الله ورسوله وعدم رفع الصوت عند حضور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فمنها ما يشير إلى أن هذا يعني عدم التدخل في الأمور التي تخص الشريعة أو التقديم بأمور دينية قبل أن يتخذها الله ورسوله قراراً. والمفهوم العام للآية هو تجنب العجلة والتسرع في مواضيع دينية والالتفات إلى توجيهات الله ورسوله في كل الأمور.[٣٥]

و هذا يوضح أن عدم التقدم مطلق و لا يقبل التجزئة و هذا فيه تخلق المجتمع الإسلامي بأخلاق الملائكة الذين لا يسبقون الله بقول أو بأمر و بهذا ينبغي على المجتمع المسلم أن يكون منقادا و طيعا لله و رسوله صلى الله عليه و آله.

الفائدة الثانية إن وصف الله سبحانه و تعالى المؤمنين بصفة الإيمان فيه تحفيز و تنشيط لقلوبهم و تعزيز للطمأنينة و السكينة الإيمانية و تقديم للوازع الديني الذي يمنع أي خلل أو إخلال بالتعاليم الإلهية و قيل لا تعجلوا بأمر و نهي قبله.[٣٦]

و قد قال الإمام الأكبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إن المؤمن إذا نظر اعتبر. وإذا سكت تفكر. وإذا تكلم ذكر.[٣٧]

الفائدة الثالثة تقدم آيات عدم التقدم على الله و رسوله فائدة كبرى للمجتمع الإسلامي تحميه من الوقوع في البدع الدينية و البدعة من المعاصي الكبرى و المحرمات الخطيرة و قد دل على ذلك قول الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سببها الى النار.[٣٨]

و عن أمير المؤمنين عليه السلام يَا ابنَ مَسعُودٍ إيَّاكَ أَن تَسُنَّ سُنَّةَ بِدعَةٍ فَإنَّ العَبدَ إذَا سَنَ سُنَّةً سَيِّئَةٍ لَحِقَهُ وِزرُهَا وَ وِزرُ مَن عَمِلَ بها.[٣٩]

الفائدة الرابعة إن الإيمان بالله و رسوله الكريم صلى الله عليه و آله و سلم يحقق اليقين الكامل المترسخ لدى المجتمع الإسلامي و لعل آية عدم التقدم على الله و صاحب شريعته الغراء محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم يقي المسلمين جميعا من الوقوع في الخطأ عبر الفتوى بدون فحص لأن ذلك نوع من التقدم على الله ورسوله صلى الله عليه و آله و سلم لا بد للمجتهد في مقام الاستنباط وتشخيص وظيفته ووظيفة العامي من استفراغ الوسع في الفحص عن الأدلة والمعارضات والقرائن الدخيلة في تعيين مفاد الدليل. وليس له الاكتفاء بما وصل له من الأدلة فضلاً عن الرجوع للأصل من دون فحص عن الدليل لو لم يطلع عليه.[٤٠]

الفائدة الخامسة التقوى هو الشعار الذي ترفعه آيات سورة الحجرات قوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم فالالتزام المطلق الذي تدعو إليه هذه السورة المباركة يجعل من المجتمع الإسلامي متبعا للنهج محمد و آل بيته الكرام صلوات الله عليهم.

و في هذا عن الإمام علي عليه السلام صِفَتانِ لا يَقبَلُ اللهُ سبحانه الأعمالَ إلّا بِهِما التُّقى والإخلاص.[٤١]

وعنه عليه السلام أوصيكم بتقوى الله فإنها حقّ الله عليكم والموجبة على الله حقكم وأن تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله.ألا فصونوها وتصوّنوا بها.[٤٢]

و عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم شرف الدنيا الغنى وشرف الآخرة التقوى.[٤٣]

الفائدة السادسة تقدم سورة الحجرات بيانا إلهيا و تأكيدا ربانيا ان الله يختبر و يمتحن قلوب المؤمنين و يغفر لهم باعتبار نجاحهم في هذا الامتحان الشاق المتمثل بالإيمان الخالص لوجه الله عبر احترام أوامره و أوامر نبيه الكريم صلى الله عليه و آله و سلم قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ.[٤٤]

أبرزت كلمة مغفرة لتأكيد التقدير والأهمية. إنها تشير إلى أن الله يمنحهم نصيبًا كبيرًا وشاملًا من المغفرة وبعد تطهيرهم من الذنب يكرمهم بالأجر العظيم لأن التطهير من الذنب هو الخطوة الأولى الضرورية قبل أن يكون هناك استحقاق للأجر العظيم من قِبل الله.[٤٥]

وفي هذا السياق روي عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام قوله يا أمة محمد ما تركتم لنبي درجة ولا لمرسل فضيلة إلا وقد تحملتموها لنبيكم فهل عندكم جواب إن أنا سألتكم؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً سل يا أخا اليهود ما أحببت فإني أجيبك عن كل ما تسأل بعون الله تعالى ومنه. فوالله ما أعطى الله عز وجل نبيا ولا مرسلاً درجة ولا فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد صلى الله عليه وآله وزاده على الأنبياء والمرسلين أضعافاً مضاعفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكر لنفسه فضيلة قال 'ولا فخر.' وأنا أذكر لك اليوم من فضله من غير إزراء على أحد من الأنبياء ما يقر الله به أعين المؤمنين شكراً لله على ما أعطى محمداً صلى الله عليه وآله الآن. فاعلم يا أخا اليهود إنه كان من فضله عند ربه تبارك وتعالى وشرفه ما أوجب المغفرة والعفو لمن خفض الصوت عنده.[٤٦]

الفائدة السابعة النهج السليم في تلقي الأخبار قول العلامة الطبطبائي رضوان الله تعالى عليه يشير إلى مفهوم الآية التي تدعو المؤمنين إلى التحقق والتثبت عندما يأتيهم خبر من قبل فاسق ذو شأن. الآية تعني أنه عندما يصلهم خبر من شخص يعرف بفسقه وسوء سلوكه عليهم أن يبحثوا ويفحصوا هذا الخبر بدقة قبل أن يأخذوا به. هذا الفحص يهدف إلى التحقق من صحة الخبر وعدم الانسياق العشوائي له حتى لا يتسببوا

في إيذاء أحد بسبب معلومات غير مؤكدة. وإذا تبين لهم بالبحث والتحقق أن الخبر صحيح وموثوق فيمكنهم اتخاذ الإجراءات اللازمة بناءً على ذلك.

هذه الآية تعكس مبدأً هامًا في الإسلام وهو ضرورة التحقق والعدالة في التعامل مع الأخبار والمعلومات. إنها تحث على عدم الانصياع العميق للأخبار والشائعات بل على البحث والتحقق قبل اتخاذ أي إجراء. هذا المبدأ يسهم في تعزيز العدالة والنزاهة في المجتمع ويمنع انتشار الشائعات والأخبار الكاذبة.

والعلامة الطبطبائي توضح أن الإنسان يعيش حياةً علمية يستند فيها إلى العلم والمعرفة لاتخاذ القرارات والأفعال الصائبة والخبر هو وسيلة لنقل المعرفة والمعلومات. ولكن يجب أن يكون التحقق والتثبت من مصدر الخبر جزءًا من هذه العملية للتأكد من صدق وموثوقية الخبر.

فالركون إلى الخبر بمعنى ترتيب الأثر عليه عملاً ومعاملة مضمونة معاملة العلم الحاصل للإنسان من طريق المشاهدة والنظر في الجملة مما يتوقّف عليه حياة الإنسان الاجتماعية توقّفاً ابتدائياً وعليه بناء العقلاء ومدار العمل.

فالخبر إن كان متواتراً أو محفوفاً بقرائن قطعية توجب قطعية مضمونه كان حجّة معتبرة من غير توقّف فيها فإن لم يكن متواتراً ولا محفوفاً بما يفيد قطعية مضمونه وهو المسمّى بخبر الواحد اصطلاحاً كان المعتبر منه عندهم ما هو الموثوق به بحسب نوعه وإن لم يفده بحسب شخصه وكل ذلك لأنّهم لا يعملون إلا بما يرونه علماً وهو العلم الحقيقي أو الوثوق والظنّ الاطمئناني المعدود علماً عادة.

إذا تمّهد هذا فقوله تعالى في تعليل الأمر بالتبيُّن في خبر الفاسق ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ إلخ تُشير الآية إلى أهمية التحقق والتأكد من مضمون الخبر قبل اتخاذ أي إجراء وأنه يجب ترتيب الأثر وفقًا للحقائق المعروفة والمؤكدة.[٤٧]

الفائدة الثامنة الإيمان يقتضي التثبُّت والتبيُّن ﴿آمَنُوا. فَتَبَيَّنُوا﴾.[٤٨]

ونظرًا لأن القرآن الكريم يُعَدُّ من أهم الوسائل التي تهدف إلى بناء مجتمع متماسك وتعزيز مهمة الإنسان في الأرض كخليفة لله فإنه يولي اهتمامًا خاصًا لتنبيه المجتمع على أهمية التحذير من عوامل الفساد والانحراف. من بين هذه العوامل الضارة تأتي الاشاعات التي إذا انتشرت في المجتمع قد تؤدي إلى ضعفه وتدهوره.

فمن أهمّ وسائل مواجهة الاشاعات منهج نقد المصادر والذي يعدّ نقداً خارجياً يبتني على تجاوز المضمون بتسليط النظر على مَنشئِه لاستبانة أكبر قدر ممكن من القرائن الخارجيّة التي يمكن أن ترجِّح صدقه أو كذبه ومن ثمّ يكون المعيار في قبوله في هذه

المرحلة مبني على أساس رصانة المَصدر ولا يخفى أنّ العلاقة بينهما في المسائل النقليّة طرديّة.[٤٩]

الآية الكريمة تُشير إلى ضرورة البحث والتحقق قبل القبول العميق لخبر الفاسق الذي لا يمكن الاعتماد عليه بدون التثبّت من صحته بمعنى آخر الآية تشجع على عدم الاندفاع في قبول معلومة مشبوهة والتمهل للتأكد من مدى صدقها وموثوقيتها.

الفائدة التاسعة الإصلاح بين المؤمنين قوله تعالى وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.[٥٠]

تقدم سورة الحجرات في هذه الآية دستورا إصلاحيا و تشريعا إلهيا للحد من الخلافات بين المؤمنين و السعي إلى نبذ الفرقة و النزاع.

الأثر الإيماني في سورة الحجرات على المجتمع

الإيمان بالله تعالى واتباع تعاليم رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يعتبران الأساس للفضيلة والتقوى حيث يمهدان الطريق للفرد والمجتمع للخروج من حالة الشرك والكفر إلى حالة الهدى والخلاص. الإيمان يمكن أن يكون وسيلة للتطهير والتحرر من عبادة الأهواء والانتقال إلى الاعتقاد السليم الذي ينقل الفرد من حالة الضلال إلى حالة اليقين والتوجيه السليم.

و كما هو مهروف فإن المجتمع الجاهلي كان ممزقا و فاقدا للعدل و التسامح و قد أصبح ببركة الإسلام و الإيمان و بفضل عقيدة التوحيد قويا موحدا يستند في تعاملاته على مبادئ الحق و العدل و المحبة و التسامح.

من الأدلة التي تظهر النقلة الحضارية الكبيرة التي أحدثها الإيمان على صعيدي الفرد والمجتمع نجد ما قاله جعفر بن أبي طالب عليه السلام للنجاشي ملك الحبشة عندما سأله الأخير عن سبب هجرتهم وانفصالهم عن دين قومهم فأجابه قائلاً أيُّها الملك كنّا قوماً أهل جاهليّة نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القويُّ منّا الضعيف فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرّحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً..[٥١]

إن الحالة الإيمانية المتكاملة التي تقدمها سورة الحجرات تنطلق بالمجتمع الإسلامي إلى درجات عالية من الرقي و المثالية و لهذه التعاليم الإلهية دور كبير و تأثير هايل في إيجاد حالة الاستعداد الروحي و النفسي.

فالأدب الراقي في سورة الحجرات يتمثل في عدم التقدم على الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و هذا الاحترام لله يورث المعرفة الكاملة بحلاله و حرامه و يقي المؤمن من البدع و التزوير و التحريف و المبالغات.

و من آيات سورة الحجرات التي توثق الإيمان تؤخذ المفاهيم الفقهية و السلوكية الصالحة لكل زمان و مكان و تعزز ثقة المؤمن بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم و سنته و بنهج أهل بيته الأطهار سادات الهدى و مصابيح الدجى عليهم السلام.

و الإيمان يبعث على التقوى و التي تمنع المؤمن من التجاوز على الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و بالتالي عدم تجاوز حقوق الآخرين و أداء الواجبات الإيمانية و الالتزام العملي بالمبادئ و الأوامر الإلهية قوله تعالى لا تقدموا. و اتقوا الله.[٥٢]

والأشخاص الذين يُفضّلون عاداتهم وأعرافهم الاجتماعية على أوامر الله ورسوله هم بعيدون عن الإيمان والتقوى. و يجب على المجتمع الإيماني نبذ التطرُّف والانقياد للقيادة الإلهية لأنّ الله تعالى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿لَا تُقَدِّمُوا. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

و التقوى التي تدعو إليها آيات سورة الحجرات و اتقوا الله تمكن المجتمع الإسلامي من معرفة الحق و الباطل و تحرضه على ترك الذنوب و تمحي آثارها و تقوده إلى مغفرة الله سبحانه و تعالى.

و هذه التقوى الإيمانية هي السبيل و الطريق للخلاص من كل طرق الشرك و الكفر و الحصول على الرزق الوفير في الدين و الدنيا و عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال من أخرجه اللّه من ذلّ المعاصي إلى عز التقوى أغناه اللّه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وانسه بلا بشر.[٥٣]

كما أن هذا الإيمان الذي تنير دربه لنا آيات سورة الحجرات يجعلنا نقف موقف المتعلمين و المتأدبين بأدب رسول الله و آل بيته الاطهار عليهم السلام والحقيقة أنَّ أدب التعامل مع الآخرين لـه مفهوم شامل يتسع اتساع العلاقات الإنسانية بين بني البشر. والروابط التي تجمع بين الناس كثيرة فمن رابطة الدم إلى رابطة الفكرة والمبدأ ورابطة العمل والوظيفة ورابطة الصداقة والصحبة ورابطة الجنس والعرق والرابطة التجارية والاقتصادية ورابطة العقيدة التي تُعدّ من أقوى الروابط وأمتنها. ولكن قوّة رابطة العقيدة لا تعني أنَّ أدب التعامل مع الآخرين لا يدور إلا في نطاقها ولا يشمل

التعامل مع أصحاب العقائد الأخرى من غير المسلمين بل إنَّ أدب التعامل يتسع ليشمل الإنسانية كلَّها.

و من نماذج التأثير الواضحة على المجتمع الإسلامي عبر سورة الحجرات هو كيفية التعامل مع الفاسقين و ناقلي الأخبار الخاطئة بقصد بث التفرقة بين صفوف المؤمنين و هؤلاء جردتهم سورة الحجرات و فضحت أساليبهم و دعت المجتمع الإسلامي إلى الابتعاد عنهم و تحري ما يقولون بشكل جيد يقي المجتمع الإسلامي من الوقوع في الزلات و العثرات لأن أكثر و أشيع الصراعات و الخلافات الاجتماعية التي تهدد حياة المؤمنين و استقرارهم أصله الفاسقون.

واليوم حيث يتعرّض المسلمون لغزو ثقافي وهجمة إعلامية عبر ألوف المؤسّسات الدعائية المتنوّعة ترانا أحوج ممّا مضى إلى تنفيذ هذه الوصية الإلهية أن نتبيّن ما يقولون لأنّهم فسقة لا يتّقون الله فيما يقولون هذه الوكالات الخبرية التي تموّلها وتقودها الرساميل والأنظمة هل تلتزم بالصدق؟ هذه الصحف الصفراء التي تنطق باسم المترفين والطغاة هل ترعى جانب الحق؟ هذه الإذاعات التي تصبّ في آذاننا وأذهاننا كل يوم شلّالاً من المعلومات المختلطة هل نضمن صدقها؟ كلا.. إذاً لا بدّ من التثبُّت ولكن كيف؟ لأنّ حجم الأفكار والأخبار التي تُبثّ عبر أجهزة الدعاية كبير فإنّ قدرة الأفراد على التثبُّت منها محدودة فلا بدّ إذاً من وجود مؤسّسات موثوق بها تقوم بدور المصفاة وتنتقي السمين وتُقدِّمه للمؤمنين. هذه المؤسّسات قد تكون معاهد ومراكز للدراسات والبحوث وقد تكون تنظيمات دينية وقد تكون خبراء أكفاء يرجع إليهم المؤمنون في توثيق المعلومات وقد تكون مؤسّسات إعلامية بديلة إذاعة صادقة صحيفة ملتزمة أو وكالة للأنباء موثوق بها.[٥٤]

و نجد أيضا نجد أنّ الإيمان يفتح آفاقاً جديدة من العلائق بين البشر ترتكز على الإخاء والمساواة وغدا معيار التفاضل الوحيد بين البشر يقوم أساساً على الإيمان والتقوى والفضيلة قال تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأنثى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُم.[٥٥]

كما أن الإيمان يعزز تعاون أفراد المجتمع الإسلامي و يقوي علاقات الإخوة فيما بينهم فالإيمان يدفع الفرد إلى خدمة إخوانه بما يعود عليهم بالنفع و الفائدة يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام المؤمنون خدم بعضهم لبعض ـ ولما قيل له ـ وكيف يكونون خدماً بعضهم لبعض؟ قال عليه السلام يفيد بعضهم بعضا.[56]

يمثل الإيمان نقطة انطلاق كبرى في العلاقات البشريّة فهو ينقل الناس من حالة العداء والبغضاء إلى حالة الودّ والاخاء قال تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ.[٥٧]

و عن أبي عبيدة قال سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول إذا التقى المؤمنان فتصافحا أقبل الله بوجهه عليهما وتتحاتُّ الذنوب عن وجوههما حتى يتفرقا،[٥٨] ولا يقتصر الأمر على مظاهر الاحترام والإكرام بل يتعدّاهما إلى إبداء النصيحة قال الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله وسلّم المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كلِّ حال.[٥٩]

قد نظم الإسلام للمؤمن نظرة واعية وعميقة تحصِّنه من الانزلاق في حضيض العنصريّة وتفاخرها بالأحساب والانساب. ومن الأمثلة التي توضح ذلك عندما تفاخرت قريش أمام سلمان الفارسي أجابهم قائلاً لكنَّ خلقتُ من نطفةٍ قذرةٍ وأعودُ جيفةً منتنةً ثمَّ إلى الميزانِ فإن ثقلتُ فأنا كريمٌ وإن خفَّتْ فأنا لئيمٌ.[٦٠]

من الواضح أنَّ الإيمان أحدث تغييرًا اجتماعيًّا كبيرًا حيث تقدّم الأفراد الذين كانوا في الجزء السفلي من السلّم الاجتماعي قبل الإسلام إلى مراتب اجتماعيّة أعلى بعد الإيمان. وكانوا قادرين على الزواج من بيوت مرموقة. كما قال الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله وسلّم إنَّما زوَّجت مولاي زيد بن حارثة زينب بنت جحش وزوَّجت المقداد ضباعة بنت الزبير لتعلَّموا أنَّ أكرمكم عند الله أحسنكم إسلامًا.[٦١] كما تبوأ البعض مناصب رفيعة كبلال الحبشي الذي أصبح مؤذّناً للرسول صلّى الله عليه و آله وسلّم.

وكان أُسامة بن زيد شاباً يافعاً فأصبح قائداً عسكرياً أناط به الرسول صلّى الله عليه و آله وسلّم قيادة الجيش الإسلامي المتجه إلى مؤتة لمواجهة دولة عظمى هي دولة الروم وأدخل تحت إمرته أبا بكر وعمر وكبار المهاجرين والأنصار.

بالإضافة إلى ذلك دفع الإيمان إلى إقامة عادات وتقاليد جديدة بدلاً من التقاليد البالية التي كانت تمجّد الثراء والرفاهية. فقد ترك الدين بصماته وآثاره حتى على مراسم الزواج وعاداتها. فيما كان معيار الاختيار في الزواج يعتمد على الثروة والمال والمكانة الاجتماعية أصبح مرتكزًا على التقوى والفضيلة. كما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم من زوَّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمه.[٦٢]

وجاء رجل إلى الحسن عليه السلام يستشيره في تزويج ابنته؟ فقال عليه السلام زوّجها من رجل تقي فإنّه إنّ أحبّها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها.[٦٣]

ثم إنّ الإسلام حارب التقاليد البالية التي تمجد المراسم الفارغة التي لا تنسجم مع بساطة الإسلام والتي لا تنفع بقدر ما تولد العنت والمشقة وتضع الحواجز النفسيّة

والاجتماعيّة خاصّة بين الحاكم والمحكوم. وكان الإمام علي عليه السلام نموذجاً للحاكم الإسلامي الذي يحبّ البساطة والتواضع ويكره التكلّف والتعظّم بدليل أنّه لما لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجلوا له واشتدّوا بين يديه فقال عليه السلام ما هذا الذي صنعتموه؟ فقالوا خُلق منّا نعظِّم به أُمراءَنا فقال عليه السلام والله ما ينتفعُ بهذا أمراؤكم! وإنَّكم لتشقُّون على أنفسكم في دُنياكم وتشقون به في آخرتكم..[٦٤]

الخاتمة

و في ختام عملنا في هذا البحث لا بد لنا من التأكيد على أن الغوص في معاني القرآن الكريم و فهم دلالات آياته و سوره تعد عملية معقدة و تستوجب القدرة على استخلاص العبر و فهم الروايات الصحيحة و التدبر الحقيقي في تلك الآيات و تستمد آيات سورة الحجرات أهمية كبرى في حياة كل مسلم لا و بل في حياة كل إنسان قارئ لآيات القرآن مهما كانت منزلته الإيمانية.

تنطلق هذه الأهمية من الدور الكبير الذي تقوم به هذا الآية الكريمة في قيادة الأفراد لبناء المجتمع الإسلامي الصحيح الذي يشكل نواة الدولة العصرية الحديثة.

إن المجتمع الإسلامي حاله حال بقية مجتمعات الأرض يواجه اليوم هجوما على بنيانه المرصوص و لابد لنا من تحليل الأوضاع الراهنة لننطلق لتقييم الأداء الفردي و حسن التعامل خلال سير العملية الاجتماعية داخله.

و تمثل آيات سورة الحجرات منارة إلهية يستدل بها كل تائه عن درب الله و كل تائب عائد إلى دروب الرحمن و قد قدم النبي الكريم و آل بيته عليهم السلام منهاجا يفسر آيات سورة الحجرات بما يتوافق مع كتب التفسير العظيمة.

و من أهم النتائج و التوصيات التي خرجنا بها من هذه الدراسة ما يلي:

١. يمثل القرآن الكريم بآياته و سوره و معانيه غاية كل متعلم و متفقه و طالب للإيمان الحقيقي.

٢. إن الإيمان الحقيقي موضعه القلب و لا يغرنك من ادعى الإسلام و لم يتخلق بالأخلاق الإيمانية.

٣. إن التأدب مع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من أهم صفات المؤمن الحقيقي.

٤. هذا التأدب يعني احترام سيرة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الالتزام بتعاليمه و الاقتداء بأئمة أهل بيته الأطهار عليهم السلام.

٥. الالتزام بالأخلاق الرفيعة التي جاءت في سورة الحجرات فيه فوز و نجاة الفرد و المجتمع و سلامه الداخلي.

٦. قيام المجتمع على مبادئ المساواة و المواطنة الحقيقية التي نادت بها سورة الحجرات هو ما يقوي بنيان الدولة و يرفع من شأنها.

المراجع و المصادر

القرآن الكريم

١. الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. (٢٠٠٣م). *الإيمان حقيقته و نواقصه*. الرياض: مدار الوطن للنشر الرياض.

٢. الألوسي، محمود شكري. (٢٠٠٨م). *روح المعاني*. بيروت: إدارة الطباعة المنيرية.

٣. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. (١٩٩٢م). *نهج البلاغة*. بيروت: الدار الإسلامية للطباعة و النشر.

٤. البحراني الأصفهاني، عبد الله بن نور الله. (١٢٣٣ه). *عوالم العلوم و المعارف في أحوال صاحب الزمان*. طهران: مكتبة ملي جمهوري.

٥. الجرجاني، علي بن محمد. (١٤١٣ه). *شرح المواقف*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. الحاكم النيسابوري، الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله. (٢٠١٩م). *المستدرك على الصحيحين*. بيروت: دار المنهاج القديم.

٧. الديلمي، الحسن بن محمد. (١٩٧٠م). *إرشاد القلوب*. قم: دار الرضى.

٨. الرملي، شمس الدين محمد بن أحمد. (١٩٩٤م). *غاية البيان شرح زبد ابن رسلان*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٩. الريشهري، محمد. (١٤٢٢ه). *ميزان الحكمة*. قم: دار الحديث.

١٠. الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد. (٢٠٠٩م). *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل*. الكويت: دار المعرفة.

١١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٢م). *تفسير السعدي*. *الرياض*: مكتبة دار السلام للنشر و التوزيع.

١٢. الشوكاني، محمد بن علي. (٢٠١٣م). *فتح القدير*. بيروت: دار المعرفة.

١٣. الصادقي الطهراني، محمد. (١٤٠٦ه). *الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن*. قم: دار التراث للنشر.

١٤. الطبرسي، أبي الفضل. (١٤١٨ه). *مشكاة الأنوار*. قم: دار الفكر.

١٥. الطبرسي، أبي الفضل. (١٤٢١ه). *تفسير جوامع*. قم: مؤسسة النشر

الإسلامي.
١٦. الطبطبائي، محمد حسين. (١٤٣٠ه). *تفسير الميزان*. قم: دار المجتبى.
١٧. «ـــــــــــــــــــــ». (٢٠١٦م). *تفسير الميزان*. قم: دار المجتبى.
١٨. قراءتي، محسن. (٢٠١٤م). *تفسير النور*. بيروت: دار المؤرخ العربي.
١٩. القرطبي، شمس الدين. (١٩٦٤م). *تفسير القرطبي*. القاهره: دار الكتب المصرية القاهرة.
٢٠. الكاشاني، محمد محسن بن شاه مرتضى. (١٤٠٦ه). *الوافي*. اصفهان: مؤسسة امير المؤمنين عليه السلام.
٢١. الكليني، محمد بن يعقوب. (١٩٨٢م). *الكافي*. قم: مطبعة الخيام.
٢٢. الليثي الواسطي، علي بن محمد. (١٩٩٩ه). *عيون الحكم و المواعظ*. الرياض: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٣. المجلسي، محمد باقر. (٢٠٠٩م). *بحار الأنوار*. بيروت: دار الكتب الإسلامية.
٢٤. مكارم الشيرازي، ناصر. (٢٠٠٨م). *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*. قم: مؤسسة الأعلمي.
٢٥. مكارم الشيرازي، ناصر. (٢٠٢١م). *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
٢٦. المنتظري، حسين علي. (٢٠٢٠م). *دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الإسلامية*. بيروت: شبكة الفكر.

---

١. الحجرات: ١١
٢. الحجرات: ١٤- ١٦
٣. الحجرات: ١٨
٤. الكتاني، *تفسير الكتاني*: ص٢٢
٥. الحجرات: ٢
٦ افتأت عليه القولَ افتات اختلقه افتراه رماه به كذبًا افتأت عليه الباطل ومن الكلمات القريبة إفتأت عليه الباطل اختلقه. إفتأت برأيه انفرد واستبد به. افتراء تضْلِيل تَزْيِيف تَلْفِيق كَذِب
٧. الحويزي، *تفسير نور الثقلين*: ج٥، ص٤٥
٨. الحجرات: ٣
٩. الطبطبائي، *الميزان*: ص٣١٠
١٠. الحجرات: ٦
١١. الطائي، *تفسير أهل البيت*: ج١٤، ص٥١٨
١٢. الحجرات: ١١
١٣. الحجرات: ١٨
١٤. قراءتي، *تفسير النور*: ص٤١٤
١٥. الحجرات: ١٣
١٦. الطبرسي، *إعلام الورى بأعلام الهدى*: ص٨
١٧. الحجرات: ٧
١٨. البرقي، *المحاسن*: ج١، ص١٩٩
١٩. الطبرسي، *مشكاة الأنوار*: ص١٢٠

٢٠. الحجرات: ١
٢١. الطائي، *تفسير أهل البيت*: ج١٤، ص٥٠٤
٢٢. الحجرات: ٢٥
٢٣. العسكري، *تفسير الإمام العسكري*: ص٤٧٧
٢٤. الحجرات: ٦- ١٠
٢٥. ابن بابويه القمي، *معاني الأخبار*: ص٢٩٤
٢٦. الحجرات: ١١
٢٧. الكليني، *الكافى*: ج٢، ص٢١٠
٢٨. الحجرات: ١٢
٢٩. الحويزي، *تفسير نور الثقلين*: ص٥٤٤
٣٠. ابن بابويه القمي، *الخصال*: ج٢، ص٦٢٢
٣١. الحجرات: ١٥- ١٦
٣٢. الحجرات: ١٣
٣٣. الطبرسي، *مشكاة الأنوار*: ص٣٣٧
٣٤. الحجرات: ١
٣٥. مكارم الشيرازي، *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*: ج١٦، ص٥١٢
٣٦. الطريحي، *تفسير غريب القرآن*: ص٥١٦
٣٧. ابن شعبة الحراني، *تحف العقول عن آل الرسول*: ص٢١٢
٣٨. ابن شعبة الحراني، *تحف العقول عن آل الرسول*: ص٣٢٢
٣٩. مرتضى الكاشاني، *الوافى*: ص١٨
٤٠. سعيد الحكيم، *الكافي*: ص٦٧١
٤١. الريشهري، *ميزان الحكمه*: صص٤٨- ٢١
٤٢. الريشهري، *ميزان الحكمه*: صص٤٨-٣١
٤٣. الريشهري، *ميزان الحكمه*: صص١٨- ٤٨
٤٤. الحجرات: ٣
٤٥. مكارم الشيرازي، *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*: ص٥١٤
٤٦. الديلمي، *إرشاد القلوب*: ج٢، ص٤٠٦
٤٧. الطباطبائي، *الميزان*: ج١٨، ص٣١٨
٤٨. الحجرات: ٦
٤٩. الطبرسي، *مجمع البيان في تفسير القرآن*: ص٢٢١
٥٠. الحجرات: ٩
٥١. ابن هشام، *السيرة النبوية*: ص٣٤٩
٥٢. الحجرات: ١
٥٣. الريشهري، *ميزان الحكمه*: صص١٩- ٥٨
٥٤. الريشهري، *ميزان الحكمه*: ص٥٤
٥٥. الحجرات: ١٣
56. الكليني، *الكافى*: ص١٧٠
٥٧. الحجرات: ١٠
٥٨. الهندي، *كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال*: ص٦٧٨
٥٩. الهندي، *كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال*: ص١٧٢
٦٠. الحلي، *تنبيه الخواطر و نجة النواظر*: ص٢٠٣
٦١. الهندي، *كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال*: ص٣١٣
٦٢. الطبرسي، *مكارم الأخلاق*: ص٢٠٤
٦٣. الطبرسي، *مكارم الاخلاق*: ص٢٠٤
٦٤. نهج البلاغة: ص٤٧٥